هوامش

في الفيلم القصير، التوعوي الساخر، «أنقذوا رالف»، نتعرّف إلى أرنب يمضي حياته في المختبر، حيث تُجرى عليه تجارب ويتعرّض إلى التشويه من أجل صناعة مواد التجميل

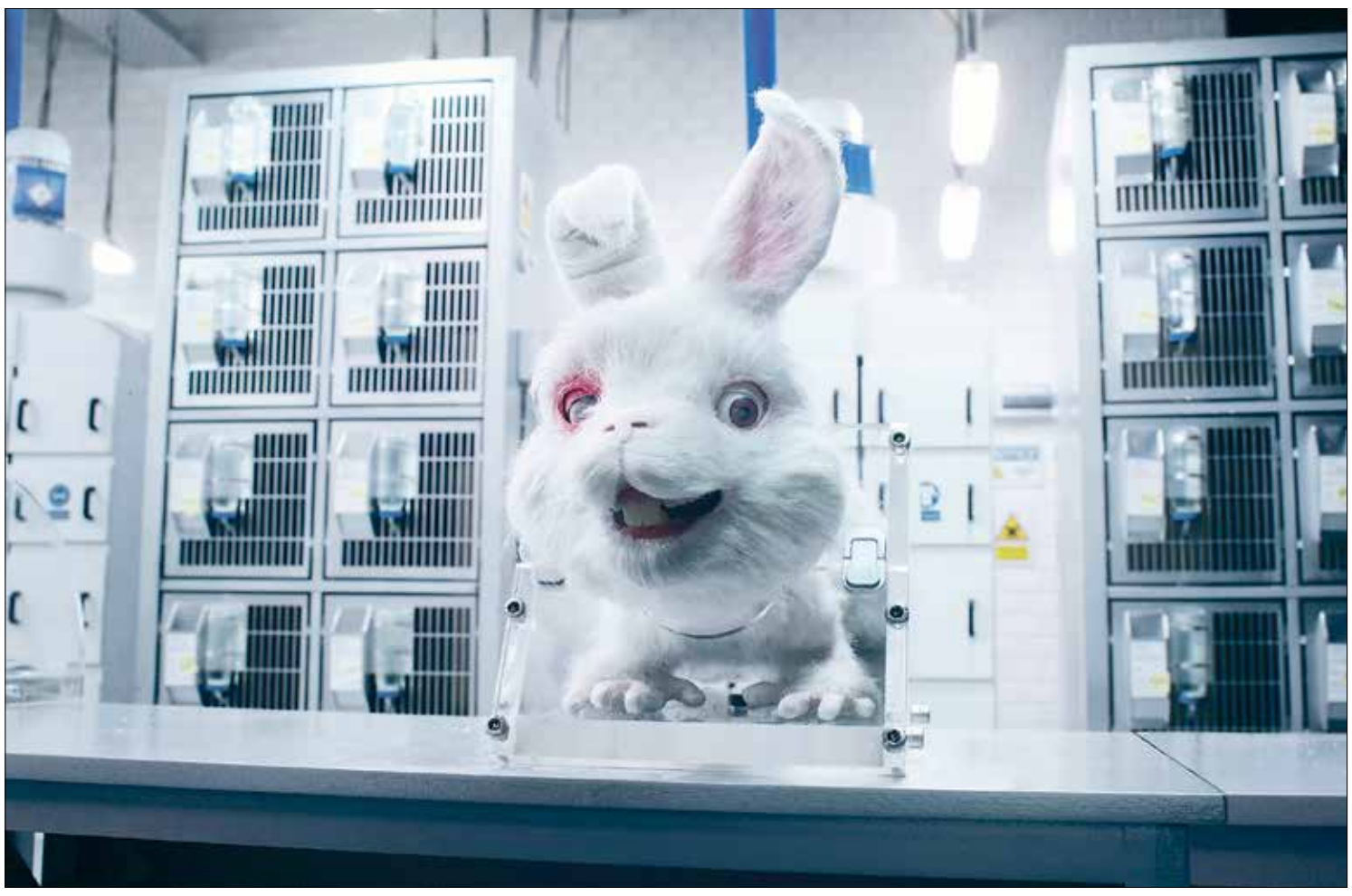

ينجح الفيلم عبر السخرية بإيصال الرسالة إلى الجمهور (يوتيوب)

أنقذوا رالف

الأرنب يسخر بعين واحدة

منى حسن

باختصار

يتهرّب كثيرون عبر إلقاء اللوم على النساء مدّعين أن الحيوانات تعاني ما تعانيه من أجل «تجميل عيون النساء» ومتعتهنّ

■■■

كشف تحقيق أن مادة «التالك» الموجودة في منتج بودرة الأطفال الذي تنتجه «جونسون آند جونسون»، تحتوي على الأسبستوس السام

■■■

يعتبر الإنسان أن من حقه استغلال خيرات الطبيعة ومواردها وجماداتها وحيواناتها من أجل ازدهاره ومنفعته

خلال أقل من شهر، حظي الأرنب رالف بتعاطف الملايين الذين شاهدوه يحكي معاناته في «مهنته»، التي ورثها عن آبائه ويؤديها هو الآخر مُجبرًا، مع باقي أفراد عائلته، داخل مختبر لفحص سلامة مستحضرات التجميل والعناية بالبشرة. رالف هو دمية أرنب طوله 23 سنتيمترًا، كما أنه بطل الفيلم القصير «أنقذوا رالف» (Save Ralph). شخصية صممها صانع الدمى آندي جينت، الذي صمم وصنع قبل ذلك الدمى في فيلم «جزيرة الكلاب» (Isle of Dogs)، لـ ويس أندرسون.

«أنقذوا رالف» مصنوع بتقنية التصوير المتقطع (Stop Motion)، التي تستهلك الكثير من الوقت والجهد، ويتم فيها تحريك الدمى وتغيير المشاهد بشكل تدريجي، وتصوير كل تغيير في صورة واحدة منقطعة، ثم تنتج الحركة عند عرضها متتالية وبسرعة. يقول مخرج الفيلم القصير سبنسر سوسر، في مقطع فيديو عن كواليس الفيلم: «لا أعتقد أن صناعة (الفيلم) بواسطة حاسوب كانت ستعطي النتيجة نفسها.. هناك أمر خاص ومميز في الأشياء الملموسة والحقيقية وهي تتحرك، لا يمكن تزييفه».

الفيلم عبارة عن مقابلة مع الأرنب رالف، تبدأ في بيته وتنتهي في المختبر، أو «مكان عمله». يؤدي صوت رالف الممثل الكوميدي وصانع الأفلام النيوزيلاندي الحائز على جائزة أوسكار تايكا وايتيتي، أمّا بطل الكوميديا السوداء الممثل الإنكليزي ريكي جيرفيه، فيؤدي صوت صانع وثائقي يتتبع رالف ويصور معه المقابلة. يشارك في تأدية أصوات أرانب أخرى في المختبر ممثلون من جنسيات مختلفة، منهم: زاك إيفرون وأوليفيا مون وبوم كليمينتيف وتريشيا هيلفر. أُنتج الفيلم بالتعاون بين كل هؤلاء، ومنظمة دولية غير ربحية تهدف إلى حماية الحيوانات، هي منظمة Humane Society International.

في أربع دقائق، يحكي رالف كيف خسر بصره وتأثر سمعه، بينما يتألم من حروق أصابت فروه وجلده، سببتها التجارب التي أجريت عليه بغرض فحص سلامة مستحضرات العناية بالبشرة، قبل أن يستعملها الإنسان. في الوقت نفسه، وبرغم كل ما يعانيه، لا يتذمر الأرنب، ولا يلقي اللوم على البشر، بل يُعبّر بسخرية حزينة عن احترامه لهم. يقول رالف: «لا بأس، نحن نفعل ذلك من أجل البشر، أليس كذلك؟ فهُم كائنات متفوقة علينا نحن الحيوانات...».

لا يرفع رالف أياً من الشعارات التي نسمعها، عادةً، في حملات المطالبة بحماية الحيوانات من مختبرات مستحضرات التجميل. ربما، لهذا السبب أيضًا ينجح الفيلم في التأثير بالناس، خصوصًا أن الأرقام والحقائق العلمية الصريحة والمباشرة عن الموضوع نفسه، لا تؤثر في البشر كما تؤثر قصة حزينة عن أرنب مسكين خاضع ومعترف بتفضيل البشر على سائر المخلوقات.

تُلمح العديد من ردود الفعل العربية والأجنبية السطحية والسريعة إلى لوم النساء على ما يعانيه رالف. البعض يرى أن رالف وباقي الحيوانات تعاني ما تعانيه من أجل «تجميل عيون النساء»، أو «إمتاعهن» بمستحضرات التجميل التي «تُضاف إلى حقائبهن». بالطبع، العديد من النساء شريكات في الجهل، لكن إلقاء اللوم عليهن لصناعة عناوين رنانة سهلة تتجاهل الشيطان الأكبر في «الجريمة»، وهي الشركات الرأسمالية التي استفادت وتستفيد من ثقافة بنتها وعززتها سرديات تقول بتفوق الإنسان على باقي الكائنات. وبناءً على هذا التفوق، يعتبر الإنسان أن من حقه استغلال خيرات الطبيعة ومواردها وجماداتها وحيواناتها من أجل ازدهاره ومنفعته. هذا الحق منصوص عليه بشكل صريح في قوانين الدول. في الولايات المتحدة، على سبيل المثال، تُعد الحيوانات في القانون ممتلكات لدى البشر.

التجارب على الحيوانات لا تتم فقط لفحص مستحضرات التجميل، بل تستعمل العديد من المختبرات الحيوانات لدراسة وتحضير العديد من الأدوية ومستحضرات العناية بجلود وعطور النساء والرجال على حد سواء. لكن مستحضرات التجميل التي تستهدف في دعايتها وصناعتها النساء، هي تجارة ضخمة تستخدم عددًا كبيرًا من المواد الخطرة، ويتم فيها استغلال الحاجة التي خلقها المجتمع عند النساء من أجل «التجمُّل» والتبرج.

وبالرغم من كل التجارب على الحيوانات، والمعرفة التي نتجت من هذه التجارب، لا تزال العديد من شركات مستحضرات التجميل تستعمل مواد خطرة وسامة في المنتجات التي تبيعها للنساء. في عام 2009، كشفت منظمة الغذاء والدواء الأميركية أن 400 نوع من أقلام الحمرة التي تباع في الأسواق ملوثة بمواد وعناصر كيميائية خطرة ومسرطنة، مثل الرصاص، الذي عُثر عليه في أقلام حمرة رخيصة نسبيًا، مثل التي تصنعها شركة لوريال الشهيرة. ووجدت الدراسة أن أقلام حمرة باهظة الثمن تنتجها شركة Dior، كانت أيضًا ملوثة بالرصاص. دراسات عديدة وجدت مواد خطرة أخرى في مستحضرات المكياج المختلفة، من هذه المواد: الفورمالديهايد والأسبستوس والبارابين وثاني أكسيد التيتانيوم، وغيرها. من الصعب على المستهلك الكشف عن المواد الضارة في المستحضرات المعروضة في الأسواق. في كثير من الأحيان، لا تكفي قراءة قائمة المحتويات، لأن العديد من الشركات تخفي مجموعة من المواد الكيميائية تحت مسميات جديدة أو عامة، مثل كلمة «عطر»، الذي لا يعرف المستهلك ماذا يدخل في تركيبته. أو مادة «التالك»، التي قد تدخل في تركيبها مادة الأسبستوس، أو ما يسمى بالصخر الحريري.

في عام 2018، كشف تحقيق لرويترز أن مادة «التالك» الموجودة في منتج بودرة الأطفال الأيقوني الذي تنتجه شركة «جونسون آند جونسون»، تحتوي على الأسبستوس السام. وقالت رويترز في حينها إن الشركة رفضت الاعتراف بهذه الحقيقة وأخفتها عن العامة. على موقعها الإلكتروني، تقول «جونسون آند جونسون» إنها لا تجري أي تجارب على الحيوانات إلا في حالات نادرة، تفرض فيها الحكومة والقوانين مثل هذه التجارب. بطبيعة الحال، تريد «جونسون آند جونسون» وغيرها من الشركات، التأكيد على رفقها بالحيوانات للاستفادة من حملات التوعية والموجات الدعائية الجديدة عن الاستدامة وحماية البيئة.

وأخيراً

«نوّار العلت»... في ذكرى النكبة

معن البياري

عندما يكتب أستاذنا، فيصل درّاج، في «ضفة ثالثة» أخيرا، إن رواية محمد علي طه «نوار العلت» (الدار الأهلية، عمان، 2021)، «ربما تكون أجمل ما جاءنا، نحن الفلسطينيين في المنفى، منذ كتب إميل حبيبي ما كتب»، فإنك لا بد ستسارع إلى قراءة هذا النص، كما فعل صاحب هذه الكلمات، ثم صار في وسعه أن يعقّب على هذا التقريظ، ثقيل القيمة، بأنه مستحق تماما، ولا بأس من «ربما» في الأثناء، تحرّزا، أقله كما صنع درّاج، الدؤوب في متابعاته كل جديد من منتوج الرواية الفلسطينية. على أن الأهم من هذا التحرّز التنبيه إلى أن رواية طه منشغلة بفلسطينيي الأراضي المحتلة في عام النكبة، 1948، في أرضهم ووطنهم تحت الحكم الإسرائيلي. ولذلك يحسُن التنبيه إلى أن التنويه به في هذه السطور، وقبله في مقالة فيصل درّاج، يتوجّه إلى تميزها الباهظ بين متون المدونة الرواية الفلسطينية المعنية بالنكبة، وإنْ لها، بداهةً، صلتها المتحققة بكل فلسطين، وكل فلسطيني، سيما وأن فضاءها الزماني هو بُعيْد فشل مفاوضات كامب ديفيد بين عرفات وباراك. وقبل ذلك كله وبعده، أرادت «نوّار العلت» (256 صفحة) قول كل شيء، وأفلحت... عن عنصرية دولة الاحتلال، وتفشّي ثقافة الكراهية فيها، وعن المحاججة الباقية بين صاحب الأرض وسارقها، وعن الفلسطيني إنسانا تقيم أرضه في حواشيه ووجدانه، وعن الإسرائيلي قلقا وخائفا ومسلحا، وتستوطن فيه خرافة التفوق والتغلب. قالت رواية محمد علي طه (الثانية له وبعد 11 مجموعة قصصية) عن هذا كله وغيره، في سردٍ تناوبت موجاته بين متكلم فلسطيني وآخر إسرائيلي وراوية عليم بأولئك وبهؤلاء. وفي تضاعيف الذي تقوله الرواية، وبلغةٍ عالية الإشراقات والإيحاءات، ثمّة منطوق آخر فيها، موجزه إن قضية فلسطين عويصة، ومركّبة، وأن ثمة تعقيدا مضاعفا في شأن الذين بقوا في أرضهم في عام التهجير والطرد.

نقرأ «نوّار العلت»، في ذكرى النكبة التي تحلّ غدا، وفي غضون اشتعال مدن فلسطين التي احتلت قبل 73 عاما بهبّات غضب عريض، واشتباك متجدد مع العنصريات الإسرائيلية المقيتة. نقرأها ونصادف فيها ما يضيء على الجوهري التاريخي في هذا، على استحالة اللقاء بين رواية القاتل ناهب الأرض ورواية صاحب الأرض المدافع عن وجوده فيها. تذهب الحكاية التي بناها طه إلى واقعة قتل شابة إسرائيلية يهودية، ابنة ضابط متقاعد، وقد أحبت شابا فلسطينيا وأحبها، كان عليه أن يكون القاتل هو أو أخوه، بحسب الشرطة التي تحقّق في لغز الجريمة غير المحير. والروائي الحاذق لم يُرد عمله بوليسيا، ولا قصة مشوّقة لواقعة قتل. لا، أراد الجريمة واضحة، عندما يتبين بيسر للقارئ أن القاتل هو الكاره الإسرائيلي المستوطن الذي يستكثر على عربي أن تحبه إسرائيلية، يريدها أن تحبّه ولا تفعل. والدها لا يرتاح لعلاقتها بهذا، لكنه قلق أيضا كثيرا من علاقتها بالعربي، المثقف، المتعلّم، يقول والدها الجنرال المحارب في غير موقعةٍ لبنانيةٍ وفلسطينية: اسأل نفسك: لماذا فضلت العربي عليك، يا حمار؟

يذهب عمل محمد علي طه إلى الجريمة وانكشاف ملابساتها، بعد أن بسط سردا شفيفا عن حقل بطيخ ينام فيه صاحبه الفلسطيني الذي يعارض اتفاق أوسلو، وينشط في قيادة المظاهرات، وعندما لا يجد عملا، وهو خرّيج العلوم السياسية، ينشغل بحقله هذا الذي على حافّته يعثر على سيارة مركونة، فيها جثة الإسرائيلية اليهودية، يافا، عشيقه أخيه الذي يختلف عنه بأنه «لا يحمل السلّم بالعرض». وواحدةٌ من مزايا هذه الرواية، اللافتة، بادية في تشخيصها التضادّ بين شخوصها، وبين منظوراتٍ متناقضةٍ إلى مسائل الحق والقوة، بين الزهو بفائض التسلح، ودعاوى التفوق الحضاري على «عربٍ بدوٍ متخلفين»، قادمين من الصحراء، بين أوهام الذات الإسرائيلية عن نفسها، عندما تتغذّى بكل أس باب إلغاء الآخر وتسطيحه وتهشيم صورته، فيما الآخر الفلسطيني متسامح، قادر على الحب، ومتمسّك بقيم العدالة. الإسرائيلي قادم من الخارج والفلسطيني من هنا، مقيم في الداخل، ينام في حقل البطيخ، يحرُسه من «بنات آوى والأرانب البرّية والقنافذ والنياص والثعالب والنسانيس». بسطت الرواية سيرة كل شخصيةٍ فيها، لتبيان الكثير مما له غزير الدلالات والمغازي والمعاني بشأن مقابلاتٍ ممكنةٍ وأخرى ملحوظة .. وفي الأثناء، ترى أمُّ فلسطينيةُ عيني حبية ابنها، الإسرائيلية يافا، ابنة الجنرال، فتماثلهما بنوّار العلت، وهذا زهر نبتٍ برّي، لما رأته يافا في البر، فاض فرحها به، وقطفت منه باقةً، وضعتها في مزهريتها.. وكان نوّار العلت يبتسم لنوّار العلت. ولاحقا، عثر عليها قتيلة، ليس لأن قاتلها كريه، وإنما أيضا لترميز بعيد في الرواية عن استحالة لقاء صعب.

> واحدةٌ من مزايا هذه الرواية، اللافتة، بادية في تشخيصها التضادّ بين شخوصها

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50** ◻ Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**